أبو العتاهيَة

١٣٠ ـ ٢١١

هو أبو العتاهية اسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كَيْسان . وكُنيته أبو اسحاق. وأبو العتاهية لقبه . رُوي أن المهدي قال له يوماً : أنت إنسانٌ متحذلقٌ مُفَتْهٌ . فاستوتْ له من ذلك كنيةٌ غلبتْ عليه دون اسمه وكنيته . وسارت له في الناس .. وقيل : كُني بأبي العتاهية لأنه كان يحبُّ الشهرة والمجونَ والتعتُّه .(٣٣٧) أما نسبه ففيه خلاف.قال بعض الباحثين إنّه نبطي من موالي بني عَنزة . وأمه من موالي بني زُهرة . وذكر آخرون أنه عربي وتبعهم في ذلك بعض المستشرقين مثل نكلسون وهوار .

مولده وسيرته :

ولد أبو العتاهية في بلدة عين التمر غربي الكوفة(٣٣٨) سنة ١٣٠ للهجرة ولا نعلم شيئاً عن حياته في هذه البلدة . وأغلب الظن أنه انتقل منها صغيراً مع أبيه الى الكوفة الذي كان يعمل حجاماً . .

نشأ في الكوفة . وتلقّى علومه فيها .وكانت آنذاك مركزاً للعلم والأدب . وكان لقسم من الموالي الذين عاشوا في هذه المدية أثر كبير في انتشار المجون والخلاعة والزندقة والشعوبية . وقد ظهر فيها مجموعة من الشعراء سلكوا طريق التهتك والغوابة أمثال : مطيع بن إياس . ووالبة بن الحُباب . وحماد عجرد ... وكان لأبي العتاهية نفسٌ ميّالة للمسير في دربهم الشائن . وقد حاول أخوه زيد الذي كان يعمل بالجرار والفخار أن ينقذه من السقوط في هاوية الضلالة . فاشركه في حرفته .وكان أبو العتاهية ذكياً يتردّدُ الى حلقات العلماء والادباء ونبغ في نظم الشعر وهو في مقتبل العمر . وكان الأحداث والمتأدبون يأتون اليه فينشدهم أشعاره . ويكتبونها على ما تكسّر من الخزف . وبعد زمن قصير رفض هذه المهنة وتركها . وكان يقول : « أنا جدّار القوافي . وأخي جرار التجارة »(٣٣٩)

---

(٣٣٧) الأغاني ٤ : ٢ .

(٣٣٨) ينظر معجم البلدان ٤ : ٣٦ .

(٣٣٩) الاغاني ٤ : ٢٥

نزعت نفسُ أبي العتاهية الى مخالطة الشعراء المجّان والتردّد الى محلات المغنين والقيان . واكتسب آنذاك صديقاً أخلص له الودّ وهو المغنّي ابراهيم الموصلي . وقد اصطحبه عندما جاء الى بغداد . ولم يفلح أبو العتاهية من هذا المجيء . ولم تُفتحْ له أبواب البقاء . فعاد الى الكوفة بعد أن عرّج في طريقه الى الحيرة . ووقع بصرُه على فتاة ذات حسن وجمال تسمى « سُعدى » مولاة عبد الله بن مَعْن بن زائدة . تمثّله بها . ونظم فيها شعراً غزلياً رقيقاً . ولكنها أعرضت عنه . ولم تأبه به . وحينما علم مولاها بذلك نهاهُ عنها . ولكنه لم يتمثل للنهي . وهجاه هجاءً موجعاً . فقبض عليه وضربه مئة سَوط وأسكته من هذا التغزل .

جرّ أبو العتاهية أذيال الخيبة والفشل الى الكوفة . ولم يمكث فيها طويلاً . اذ جاءه طلب من صديقه ابراهيم الموصلي بالتوجُّهِ الى بغداد . فاستجاب له . ونظم قصيدة في مدح الخليفة المهدي نالت رضاه . وبذلك انفتحت له أبواب الشهرة . ونال بعدها جوائز الولاة والقواد . أحدهم عمر بن العلاء الذي وصله على قصيدة واحدة سبعين ألف درهم(٣٤٠)

وفي البلاط العباسي رأى جارية جميلة فتّانة تُسمّى « عُتبة » . فتابعها . ولاحقها . ونظم شعراً رقيقاً يحاول به أن ينفذ الى قلبها وينالها . من ذلك قوله(٣٤١) :

يا عُتْبُ سيّدتي ! أما لكِ دينُ ؟ حتى متى قلبي لديكِ رهينُ ؟
وأنا الذلولُ لكلّ ما حمّلتني وأنا الشقيُّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغداةَ لكلّ باكٍ مُسْعِدٌ ولكلّ صَبٍّ صاحبٌ وخدينُ
لا بأسَ . إنّ لذاك عندي راحةً للصبِّ أنْ يَلْقى الحزينَ حزينُ
يا عُتْبُ ! أينَ أفرُّ منكِ . أميرتي ! وعليَّ حِصنٌ من هواكِ حصينُ

لم تكن عُتبة تجيبه . بل كانت تكرهه وتزدريه . وفي أول الأمر همَّ المهديُّ أن يدفع عُتبة اليه . فجزعت وقالت : « يا أمير المؤمنين . أستجيرُ في مروءتك وشرفك وما يلزمك من حقِ خدمتي وصحبتي أن تخرجني من دار النعمة الى بائع جرار .

---

(٣٤٠) زهر الآداب ١ : ٣٢٤ .

(٣٤١) ديوانه ص ٤٥٨ .

سوقي ، دنيء النفس ، وبعد . فانما يريد الذكر والشهرة . وليس بعاشق »(٣٤٢) . فأعفاها . ولم يمتثل أبو العتاهية لهذا القرار ، ومضى يتغزّل بها . وضربه المهدي مئة سَوْط لقوله :

ألا إنَّ ظبياً للخليفة صادني ومالي على ظبي الخليفة من عَدْوِ

وقال : أبى يتمرّسُ . ولحرمي يتعرّضُ . وبنسائي يعبث ؟ ونفاه الى الكوفة . وبقي يذكر عُتبة ويكنّي باسمها . من ذلك قوله(٣٤٣)

قُلْ لمن لستُ أسمّي : بأبي أنتِ وأمي
بأبي أنتِ لقد أصـ ـبحتِ من أكبر همّي
ولقد قلتُ لأهلي إذ أذابَ الحبُّ لحمي
وارادوا لي طبيباً فاكتفوا مني بعلمي
مَنْ يكنْ يجهلُ ماألقى فإنَّ الحبَّ سُقمي
إنَّ روحي لببغدا ذ وفي الكوفة جسمي

وشفع له المهدي ، بوساطة يزيد بن منصور الحميري خال المهدي . وعاد الى بغداد . وبقي على حبه لعتبة . وبعد وفاة المهدي ثم الهادي . تقدّم لطلبها . وحاول الخليفة الرشيد أن يستميلها اليه . ولكنها أبتْ وقالت : « أنا أمتك . وأمرك نافذ فيّ . ماخلا أمر أبي العتاهية(٣٤٤) ... » وبكت بين يديه . فرقّ لها . ورحمها . وانصرف عنها . ولما سمع أبو العتاهية الخبر يئس منها وعلم أنها لاتجيبه . وقال في ذلك قصيدة أولها :(٣٤٥)

قطعتُ مِنكِ حبائلَ الآمال وحططتُ عن ظهرِ المطيّ رحالي
ويئستُ أنْ أبقى لشيء نلتُ ممّا فيكِ يادنيا . وأن يبقى لي
فوجدتُ بَرْدَ اليأسِ بينَ جوانحي وأرحتُ مِن حلّي ومِن تَرحالي

وهكذا انتهت المحاولة الأخيرة . وانسدلَ الستارُ عليها . وقد قامَ الشكُّ حول هذا الحب الضائع . ونحن نرجّحُ أنه أحبُّ عُتبة وإنْ ذهبَ فريقٌ من الدارسين الى أنه مثّل دورَ المحبّ العاشق المدلّه بالغرام كي يتحدّث الناسُ بأمره .

---

(٣٤٢) طبقات الشعراء ص ٢٢١ .
(٣٤٣) زهر الآداب ١ : ٢٢٧ .
(٣٤٤) مروج الذهب ٣ : ٣٥٧ .
(٣٤٥) ديوانه ص ٣٢٥ .

وبعد انصرافه عن عُتبة . وانقطاعه عن التغزُّل بها . بقي ملازماً لدار الخلافة . وكانت الأموال تأتيه بسخاء . فإن الخليفة الرشيد كان يُجري عليه كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعادن(٣٤٦) . ومن بعده المأمون كان يُجري عليه عشرين ألف درهم(٣٤٧) وكان الى جانب هذا يجري الحسن بن سهل عليه ثلاثة آلاف درهم كل شهر(٣٤٨) ... فضلاً عن الهدايا والهبات الأخرى . ومع هذا الثراء والمال الكثير كان بخيلاً غاية البخل . وكان يحاول أن يدفع عن نفسه البخل والشراهة في جمع المال بطرق شتى . وله نوادر طريفة نجدها في ترجمته في الأغاني وتاريخ بغداد ومروج الذهب .. ومن أطرفها أنه يدعو الى التمتع بالمال وانفاقه في قوله :(٣٤٩)

اذا المرءُ لم يُعتقْ منَ المالِ رقَّهُ تملكه المالُ الذي هو مالِكُهْ
ألا انما مالي الذي أنا مُنفقٌ وليس لِيَ المالُ الذي أنا تارِكُهْ
اذا كنتَ ذا مالٍ . فبادِرْ به الذي يحقُّ . والاَّ استهلكَتْهُ هوالِكُهْ

لقد حدث تحوُّل كبير فجأة في حياة أبي العتاهية . اذ نراه ينقطع عن مجلس الرشيد . ويضرب عن قول الشعر في الحبّ . ويلبس ملابس الصوفية . في سنة ١٨٠ للهجرة وهو في الخمسين من عمره . ويدعوه الرشيد الى استئناف خدمته والعودة الى ماكان يصنع له من رقاق الغزل . فيأبى . فيأمر بحبسه والتضييق عليه . فينظم قصيدة مطلعها(٣٥٠)

أما واللهِ إنَّ الـــظـــلـــمَ لومُ ولـكـنَّ المـسـيءَ هو الـظـلومُ

وفي ختامها يقول :

ألا يـا أيُّـها الملـك المُـرجّـى عـلـيـه نواهـضُ الدنـيا تـحومُ :
أقـلـنـي زَلَّـةً لـم أجـر منـها الـى اليـوم .. ومـا مثلـي ملومُ
وخَـلِّـصـنـي تـخـلُـصْ يومَ بـعـثٍ اذا لـلـنـاس بُرِّزَتِ الـجـحـيـمُ

رقَّ له الخليفة وأمر باطلاقه . وقضى أخريات حياته بالزهد والتوبة والاستغفار . والدعوة الى مكارم الأخلاق . الى أن قضى نحبه سنة ٢١١ هـ على أرجح الآراء(٣٥١)

---

(٣٤٦) الأغاني ٤ : ٦٣ .
(٣٤٧) الأغاني ٤ : ٥٣ .
(٣٤٨) الاغاني ٤ : ٨٩ .
(٣٤٩) ديوانه ص ٣١٧ .
(٣٥٠) ديوانه ص ٣٩٨ .
(٣٥١) ينظر أبو العتاهية حياته وشعره ص ١٥٨ .

تهمة الزندقة

ذكرنا سابقاً أن الزندقة كانت حركة كبيرة في العصر العباسي ، لذلك حاربها الخليفة المهدي ومن جاء بعده ، وقد اتهم عددٌ من الشعراء بهذه التهمة . وكان أبو العتاهية واحداً منهم . ويبدو أن تهمته لعدواة شخصية . لأن ماقيل عنه لم ينهض دليلاً قاطعاً على زندقته .

ونورد هنا أهم التهم ، قال محمد بن أبي العتاهية ، « لما قال أبي في عُتبة :

كأنّ عتابةَ من حسنِها دُميةُ قَسٍ فتنتْ قسّها
يارَبِّ لو أنسيتنيها بما في جنّةِ الفردوسِ لم أنسها

شنّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة . وقال : يتهاونُ بالجنّةِ ويبتذلُ ذِكرَها في شعره بمثل هذا التهاونِ . وشنّع عليه أيضاً قوله :

إنّ المليكَ رآكِ أحسنَ خلقِهِ ورأى جمالكِ
فحنا بقدرةِ نفسِهِ حورَ الجنانِ على مثالكِ

وقال : أيصوّر الحورَ على مثالِ امرأةٍ آدميةٍ . والله لا يحتاج إلى مثال . وأوقع له هذا على ألسنةِ العامّةِ ، فلقي منهم بلاءً »(٢٥٢) .

ان التهمة واضحة . لأنّ الأبيات ماهي إلّا مبالغات أدبية

وقال أبو الفرج الأصبهاني في التهمة الثانية : « وكما قوم من أهل عصره ينسبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ، يحتجّون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد »(٢٥٣) .

انّ من يطالع ديوان أبي العتاهية يظهر له بجلاء افتراء هؤلاء القوم لما فيه من ذكر التوحيد وذكر البعث ، والاقرار بالجنة والنار ، والوعد والوعيد .

وفي تهمة ثالثة قال أبو الفرج الأصبهاني(٢٥٤) ، « قال محمد بن أحمد بن حرب : « كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين لا

(٢٥٢) الاغاني ٤ : ٥١ .
(٢٥٣) الاغاني ٤ : ٢
(٢٥٤) الأغاني ٤ : ٥ .

من شيء . ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما ... وكان يزعم أنّ الله سيردُّ كلَّ شيء الى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعاً » . وهذا القول يوافق ماقاله ابن المعتز عن أبي العتاهية : « والذي يصحُّ لي أنه كان ثنوياً »(٣٥٥) . ويبدو أنه نظر الى أرجوزته التي تقول فيها(٣٥٦)

لكل شيء : معدنٌ وجوهرُ ... وأوسطٌ وأصغرُ وأكبرُ
وكل شيء لاحقٌ بجوهره ... أصغره مُتَّصلٌ بأكبره
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ ... لذا نتاجٌ ولذا نتاجُ
لكل إنسانٍ طبيعتانِ ... خيرٌ وشرٌّ وهما ضدانِ
والخيرُ والشرُّ اذا ماعُدّا ... بينهما بونٌ بعيدٌ جدّاً

إنّ أبا العتاهية ـ في ظننا ـ لم يكن زنديقاً ، وانما كان في أول أمره محيّراً مُذبذباً ثم استقر بعد ذلك على الايمان بالله وباليوم الآخر . وهاهو ذا يقسم : « والله ما ديني الاّ التوحيد(٣٥٧) » . وقد أصاب الدكتور محمد مصطفى هدارة في قوله(٣٥٨) : « الواقع اننا نؤمن ايماناً وثيقاً بأنّ أبا العتاهية ليس زنديقاً ولا كافراً ولكنه يؤمن ايماناً لايتطرق اليه الشك . وكل ما في الأمر أنه رجل عاش وسط تيارات من الفلسفات المختلفة والمذاهب المتباينة ، فتأثر بها لاتأثر الزنديق ولكن تأثر المؤمن . فهو يستخدم ما في الثنوية من فكرة الخير والشر لتوضيح تيارهما في نفس الانسان وفي العالم كله ، ولكنه لم يتعدَّ هذه الحدود وبذلك لم يتعدَّ حدود الإسلام » .

زُهده :

عاش أبو العتاهية حياة لاهية عابثة . ثم عاف تلك الحياة بعد تجاوزه الخمسين من العمر . والتجأ الى الزهد وتقوى الله وعبادته . وقد اختلف الدارسون في هذا التحوُّل . فقد رأى محمد خلف الله أنّ وراء زهد أبي العتاهية وتحوُّله من تيار اللهو والمجون الى الايمان وتقوى الله عاملين رئيسين : أولهما : أحساسه الدفين بضعة أصله . وهذا الاحساس النفسي حمله على أن ينادي بأنّ التقوى هي العزُّ والكرمُ كما في قوله :

---

(٣٥٥) طبقات الشعراء ص ٢٢٨ .
(٣٥٦) ديوانه ص ٤٩٤ .
(٣٥٧) الأغاني ٤ : ٣٥ .
(٣٥٨) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٣٦٩ .

دعني من ذكر أب وجدّ ونسبٍ يعليك شوك المجد
مالفخر إلا في التُّقى والزُّهد وبناية تعطي جنان الخلد

والعامل الثاني، حبه لعتبه الذي صهر مشاعره. وكان بلا أمل فصار بذلك حرماناً جديداً أضيف الى أسباب نُسكه. ويرى خلف الله أنّ صدمته في حبه لعتبة هي نقطة التحول الحقيقية في حياته(٣٥). ويضيف الدكتور مصطفى هدارة عاملاً ثالثاً هو اتصاله بالثقافات المختلفة في عصره، ولا سيما حركة الزهد التي بدأت تأخذ طريقها في ذلك الوقت(٣٦٠). أما محمد بن برانق فقال: «ماكان شعره في الزهد لله ولكنه طريق سلكه في شعره لإظهار الحسرة والأسى على حبيبته عتبة(٣٦١). وأنكر الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي زهد أبي العتاهية ورأى أنه ضلّل الباحثين والنقاد مايقرب من اثني عشر قرناً. ولا يزال شعره في مدارسنا الثانوية بل وجامعاتنا يدرس على أنه منبعثٌ عن زهد أو ما يشبه الزهد مع إنه أبعد الاشياء عن ذلك. وجعل أحد دوافع لزهد عند أبي العتاهية اتفاقية سرية بين الشاعر من جهة والفضل بن الربيع مع زبيدة من جهة أخرى. لإبعاد الرشيد عن مجالس الأنس والطرب والجواري منسات زبيدة وإبعاد جعفر البرمكي عدو الفضل بن الربيع ونديم الرشيد على الشراب... لقد كانت زبيدة تريد أن تجعل من الرشيد رجلاً عابداً زاهداً في كل شيء من الدنيا سواها. وأبو العتاهية وشعره وسيلتها الى ذلك(٣٦٢).

وهكذا حاول الكثيرون اخراج أبي العتاهية من حلبة الزهد ورميه خارجها. مع انه - في رأينا - قد تزهّد في أخريات عمره، وكفّ عن شهواته وصبواته. وهاهو ذا يقول مخاطباً الرشيد بعد اعتزال مجلسه وطرح اللهو والشراب والمنادمة جانباً: «يا أمير المؤمنين، إنّ الحسنات يُذهبن السيئات. كنتُ أقولُ الغزلَ ولي شبابٌ وجدةٌ، وبي حرارةٌ وقوةٌ، وأنا اليومَ شيخٌ ضعيفٌ لايحسن بمثلي تصابٍ(٣٦٣). ان زهده جاء بعدضعفه وكبره وشعوره بالندم على ماقدمت يداه من معاصٍ وآثام وأعمال منكرة. ويرى الدكتور محمد محمود الدش أنه تزهّد حقاً بعد سنة مئتين للهجرة، أي به السبعين من العمر(٣٦٤).

(٣٥٩) دراسات في الأدب العربي الاسلامي ص ٨٥.
(٣٦٠) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ص ٢٩٣.
(٣٦١) أبو العتاهية ص ٣١.
(٣٦٢) الشعر العربي بين الجمود والتطور ص ١٠٢، وأسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ٣٩.
(٣٦٣) زهر الآداب ١: ٣٢٩.
(٣٦٤) أبو العتاهية، حياته وشعره ص ١٥٩.

شعره :

كان أبو العتاهية ذا ثقافة واسعة . أتته من عدة روافد أوسعها الرافد الاسلامي . وهذه الثقافة واضحة في شعره . فمثلاً ماذكره المبرد في قول أبي العتاهية :(٣٦٥)

وقد يهلك الانسانُ من باب أمنه ... وينجو باذن الله من حيث يحذرُ

فهو متأثر بقوله تعالى : (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا)(٣٦٦) ومن تأثره بالحديث :(٣٦٧)

اذا كنت في الدُنيا بصيراً فإنّما ... بلاغك منها مثلُ زادِ المسافرِ

فهو مأخوذ من الحديث الشريف : « ليكن بلاغ احدكم من الدُنيا كزادِ المسافر » . ومن تأثره بمن سبقه من الشعراء في قوله :(٣٦٨)

يامَن رأى قبلي قتيلاً بكى ... من شدّةِ الوجدِ على القاتلِ

فهو مأخوذ من جميل بن معمر في قوله :(٣٦٩)

خليليَّ . فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حبِ قاتله قبلي ؟

كان ابو العتاهية مُبكراً في نظم الشعر ومكثراً . حتى انه قال : « لوشئتُ ان أجعلَ كلامي كلّه شعراً لفعلتُ »(٣٧٠) وقد شاهد ابن النديم من ديوانه في الموصل نيفاً وعشرين جزءاً من ثلاثين .(٣٧١) وقال الخطيب البغدادي : « وهو أحد من سار قوله . وانتشر شعره . وشاع ذكره . يقال : انَ احداً لم يجتمع له ديوانه بكماله . لعظمه »(٣٧٢) ولكن الذي بين أيدينا الآن من ديوانه مجلد واحد أغلبه في الزهد . ونجهل الاسباب التي حالت بين ذلك الشعر الكثير و بين وصوله الينا .

---

(٣٦٥) الكامل ١ : ٢٢٢ .

(٣٦٦) سورة النساء ، الاية ١٩ .

(٣٦٧) ديوانه ص ١٧٦ .

(٣٦٨) ديوانه ص ٢٨٦

(٣٦٩) ديوان جميل بثينة ص ٧٢ .

(٣٧٠) الاغاني ٤ : ١٢ .

(٣٧١) الفهرست ص ٢٢٧ .

(٣٧٢) تاريخ بغداد ٩ : ٢٥٠ .

استهل ابو العتاهية حياته الشعرية بالغزل . ولعلّ في قول الدكتور محمد عبدالعزيز الكفراوي شيئاً من المبالغة ، « انه أعظم شعراء الحبّ في عصره »(٣٧٣) . ان غزله عفيف ورقيق نه « من قلوب النساء موقع الزلال البارد من الضمآن »(٣٧٤) . وأغلب ما وصل الينا منه في عتبة جارية المهدي ووصيفة الخيزران . وقد سُجرَ بها حينما رآها لأول مرة ماضية الى السوق . وأخذ يستعطفها ويتودّد اليها . ويتوسل لها . بشعر سهل لطيف عذب . مثل قوله :(٣٧٥)

عيني على عتبة منهلةً ... بدمعها المنسكب السائلِ
كأنها . بين حسنها . درّةً ... أخرجها اليمُّ الى الساحلِ
كأنّ في فيها وفي طرفها ... سواحراً أقبلنَ من بابلِ
لم يبقِ مني حبُّها . ما خلا ... حشاشةً في كبدٍ ناحلِ

وكان صدّ عتبة وردُّها ودلالها يزيد جذوة حُبّه ، ويثير في نفسه الالم والحسرة . ويدفعه الى نظم الشعر شاكياً :(٣٧٦)

الله بيني وبين ظالمتي ... طلبت منها وصالها فأبتْ
ماذا عليها لو أنها بعثت ... منها رسولاً اليّ أو كَتَبتْ ؟
رغبتُ في وصلها . وقد زهدتْ ... عُتبةُ في وصلنا وما رغبتْ

انّ بساطة شعره وطريقته في التوجع وفي التعجب وفي النداء والدعاء أشبه بطرق النساء ، وهذا مادفع الاقدمين الى القول : انه يحمل زاملة المخنثين .(٣٧٧) . وقد سُئل بشار بن برد : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : مخنث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .(٣٧٨)

وللمديح نصيب لابأس به في شعر أبي العتاهية . اذ سخره للوصول الى ابواب الخلفاء والولاة والقواد والحصول على الاموال الكثيرة منهم . وكان يهز أريحيتهم

---

(٣٧٣) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ١٣٧ .
(٣٧٤) طبقات الشعراء ص ٢٣٠
(٣٧٥) ديوانه ص ٢٨٩ .
(٣٧٦) مروج الذهب ٣ : ٤٥٢
(٣٧٧) الاغاني ٤ : ١ . وينظر ابو العتاهية حياته وشعره ص ٢٠٩
(٣٧٨) الاغاني ٤ : ٢٢

لأنه يعرف كيف يتخير الافكار القريبة الى نفوسهم بعيون القول . واليك هذه الابيات في مدح الخليفة المهدي لترى مدى دقتهِ في اصابة هدفه :(٢٧٩)

أتتْهُ الخلافةُ مُنقادةً ... إليهِ تجرّرُ أذيالها
ولم تكُ تصلحُ الاّ لهُ ... ولم يكُ يصلحُ الاّ لها
ولو رامها أحدٌ غيرهُ ... لزلزلتِ الأرضُ زلزالها
ولو لم تُطِعهُ بناتُ القلوبِ ... لما قبلَ اللهُ أعمالها

وكان الخليفة الرشيد يُقرّبه ويرعاه ويصحبه ويملأ يديه مالاً . ولذلك كثرت مدائحه فيه . ومن جيد شعره الذي تتجلّى فيه مظاهر القوة في الصياغة قوله :(٢٨٠)

جرى لكَ من هارون بالسّعدِ طائرٌ ... امامَ اعتزامٍ لا تخافُ بوادرُهْ
امام له رأيٌ حميد ، ورحمةٌ ... موادُّهُ مُحمودةٌ ومصادرُهْ
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التُّقى ... مُسلّمةً من كلّ سوءٍ مساكرُهْ
ليُفمدَ سيفَ الحربِ . فاللهُ وحدَه ... ولِيُّ أميرِ المؤمنينَ وناصرُهْ
وهارون ماءُ المُزنِ يشفي من الصَّدى ... اذا ما الصدى بالريقِ غصّتْ حناجرُهْ
وأوسطُ بيتٍ في قريشٍ لبيتُهُ ... وأولُ عزٍّ في قريشٍ وآخرُهْ
وزحفٌ له تحكي البروقَ سيوفُهُ ... وتحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُهْ
اذا حميتْ شمسُ النّهارِ تضاحكتْ ... الى الشمسِ فيه بيضةٌ ومغافرُهْ
اذا نُكِبَ الاسلامُ يوماً بنكبةٍ ... فهارونُ من بين البريّةِ ثائرُهْ
لقد بُلّغتْ ما قال ... فما بالبيتُ ما قالا

ولابي العتاهية شعر في الهجاء ولكنه قليل . يغلب عليه الافتراء والتهكم والسخرية والطعن في الرجولة . ولاسيما هجاؤه لمعن بن زائدة الشيباني الذي منعه من التشبيب بجاريته سُعدى . من ذلك قوله:(٢٨٢)

لقد بلّغتُ ما قال ... فما بالبيتُ ما قالا
فلو كان من الأسد ... لما راعَ ولا هالا
وما تصنعُ بالسيف ... اذا لم تكَ قتّالا
فصُغ ما كنتَ حليت ... به سيفكَ خلخالا

---

(٢٧٩) ديوانه ص ٢٧٥ .
(٢٨٠) بنات القلوب : الـ
(٢٨١) ديوانه ص ٢١٣
(٢٨٢) ديوانه ص ٢٨٠ .

وكان معن بن زائدة يتألم ويتوجع من هذا الهجاء ويقول : « ما لبستُ سيفي قطُّ فرأيتُ انساناً يلمحني الاّ ظننت انه يحفظ قول ابي العتاهية فيّ . فلذلك يتأملني فأخجل »(٣٨٣).

والباب الواسع في شعره هو الزهد . وقد رأينا كيف انصرف الى نظمه بعد كبره واعتلاء الشيب مفرقه . ورجحنا انه تاب توبةً صادقةً لاريب فيها . وكان كما قال ابو الفرج الاصبهاني : « يحجُّ في كلّ سنةٍ »(٣٨٤) . والحجُّ آنذاك لم يكن سهلاً ميسوراً وانما له متاعب جمة لا يتحملها الا المؤمن الصبور الذي أتى الله بقلب سليم .

أدرك ابو العتاهية ان المرء الى فناء . وأن وراءه حساباً عسيراً . لذلك زهد في الدنيا بعد أن سعى فيها الى طلب اللذة والمتعة وعكف على بهرجتها وزينتها . وقد ذكر خلاصة رأية في الحياة في قوله :(٣٨٥)

طلبتُكِ يادنيا . فأعذرتُ في الطلبْ ... فما نلتُ الاّ الهمّ والغمّ والنصبْ
فلما بدا لي أنني لستُ واصلاً ... الى لذةٍ الاّ بأضعافها تعبْ
وأسرعت في ديني . ولم أقضِ بغيتي ... هربت بديني منكِ . انْ نفعَ الهربْ
تخليتُ مما فيكِ جهْدي وطاقتي ... كما يتخلّى القومُ من عَرَةِ الجربْ

هكذا وجد الحياة . همٌّ وتعبٌ . وغمٌّ ونصبٌ . لذلك فرّ منها الى عالم العبادة والزهادة ويبدو أن السهام التي رمى بها من المبغضين والحاسدين آذته وزادته نفرةً وغراراً من الواقع الذي كان يعيش على أرضه . وقد عبّر عن ذلك في قصيدة منها :(٣٨٦)

فياربِّ . إنّ الناسَ لاينصفونني ... وإنْ أنا لم أنصفْهُمُ ظلموني
وإنْ كان لي شيءٌ تصدّوا لأخذِه ... وإن جئتُ أبغي شيئهم منعوني
وإنْ نالهم رِفدي فلا شكرَ عندهم ... وإن أنا لم أبذلْ لهم شتموني
وإنْ وجدوا عِندي رخاءً تقرّبوا ... وإنْ نزلتْ بي شدّةٌ خذلوني
وإنْ طرقتني نكبةٌ فكِهُوا بها ... وإن صحبتني نِعمةٌ حسدوني

---

(٣٨٣) الاغاني ٤ : ٢٧
(٣٨٤) الاغاني ٤ : ٥٣
(٣٨٥) ديوانه ص ٤٩ .
(٣٨٦) ديوانه ص ٤١٥

لقد دعا أبو العتاهية في شعره الزهدي إلى محاسن الأخلاق . وحميد الفعال . وصالح الأعمال . وكان آخر ماقاله في مرضه الذي مات فيه :(٣٨٧)

إلهي ، لاتعذبني . فإني ... مقرٌ بالذي قد كان مني
ومالي حيلةٌ . إلا رجائي ... وعفوك . إنْ عفوتَ . وحسنُ ظني
فكم من زلّةٍ لي في البرايا ... ولأنت عليَّ ذو فضلٍ ومَنِّ
إذا فكرتُ في ندمي عليها ... عضضتُ أناملي . وقرعتُ سني
يظنُّ الناسُ بي خيراً . وإني ... لشرُّ الناسِ . إنْ لم تعفُ عني

انَ شعر أبي العتاهية . في كل أغراضه . سهل وواضح وسلس ، وبلا تعثر في مظاهر الصنعة او الزخرف . قال مصعب بن عبدالله حينما سمع الأبيات الآتية ، من شعره

تعلقتُ بآمالٍ ... طوالٍ اي امالِ
وأقبلتُ على الدنيا ... مُلِحاً أيَّ اقبالِ
أيا هذا ، تجهَّز لـ ... ـفراقِ الأهلِ والمالِ
فلا بدَّ من الموتِ ... على حالٍ من الحالِ

« هذا كلام سهل حق . لا حشو فيه ولا نقصان . يعرفه العاقل . ويقرُّ به الجاهل »(٣٨٨) لقد تقصد ابو العتاهية هذه الطريقة . اي طريقة السهولة والوضوح والسلاسة . وأرادها لنفسه ، فالشاعر في رأيه يجب « أن تكون الفاظه مما لا تخفى على جمهور الناس »(٣٨٩) . وهذا الشيء دفع نكلسون الى القول : « ان أبا العتاهية قد برهن لأول مرة في تاريخ الادب العربي ، وربما كان لاخر مرة ايضاً ، انه في استطاعة المرء ان يستعمل لغة عادية . وواضحة تمام الوضوح . وتظل له رغم ذلك مكانته بين الشعراء »(٣٩٠)

والى جانب السهولة والوضوح وسلاسة الاسلوب كان ابو العتاهية « يباشر المعنى مباشرة . ويقصد اليه قصداً . لا يختار لذلك واسطة من صورة أو غيرها . مما أولع به شعراء العصر الذي عاش فيه . الاّ ان تأتيه عفواً في غير كدّ » .(٣٩١) وهذه الحقيقة

---

(٣٨٧) ديوانه ص ٤٢٥ .
(٣٨٨) الأغاني ٤ : ١٠ ، ويُنظر ديوانه ص ٣٤٦ .
(٣٨٩) الأغاني ٤ : ٧٠ .
(٣٩٠) أسطورة الزهد عند أبي العتاهية ص ١٥٤ .
(٣٩١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٣٨٩ .

واضحة للعيان في شعره عموماً . وللتأكد من ذلك نورد هذا الخبر . روى ابو الفرج الاصفهاني أن أبا العتاهية مدح عمر بن العلاء ، وهو من اصحاب الخليفة المهدي ، « فأمر له بسبعين الف درهم . فأنكر ذلك بعض الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفي ؟ وأيُّ شيء مقدار شعره ؟ فبلغه ذلك . فأحضر الرجل وقال له : والله انّ الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه . ويتعاطاه فلا يحسنه . حتى يشبّب بخمسين بيتاً . ثم يمدحنا ببعضها . وهذا كأنّ المعاني تجمع له . مدحني فقصّر التشبيب وقال :

انّي أمنتُكَ من الزمان وريبه ... لما علقتُ من الأمير حبالا
انّ المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت اليك سباباً ورمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ مخفّة ... واذا رجعنَ بنا رجعنَ ثقالا (٣٩٢)

لقد عرف ابو العتاهية اختيار الطريق الذي يوصله الى مايريد . وحسناً قال حينما سُئل : « كيف تقول الشعر ، قال : مأردتُه قطُّ الا مثل لي . فأقولُ مأريد وأترك مالا أريدُ » (٣٩٣)

---

(٣٩٢) الاغاني ٤ : ٣٨ .

(٣٩٣) الاغاني ٤ : ١٢ .